وحدة أعلام الشعر العربي الحديث والمعاصر/ جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية
قسم اللغة العربية وآدابها
السنة الأولى ماستر: أدب عربي حديث ومعاصر / أ. ريـــلـــي
المحاضرة:

الموضوع: نازك الملائكة

في بغداد رأت النور للمرة الأولى 1923 في بيت علم وأدب، فأمها أم نزار شاعرة ولها ديوان، ووالدها كان من أهل البصر في الأدب واللّغة والنحو، وهذا المناخ الأسري دعاها منذ الصغر إلى التعلق بالأدب والشعر، وفي مكتبة أبيها العامرة بدواوين الشعر وأمهات الكتب، وجدت ما يشبع نهمها في الاطلاع والقراءة، فراحت تعبّ من هاتيك المصادر عبا، وتنهل منها إلى حد الارتواء.

أكملت دراستها في بغداد ثمّ التحقت بالجامعة وحظيت بمنحة للدراسة في جامعة برنستون في الولايات المتحدة فحازت على درجة الماجستير لتعود إلى بغداد فتستقبلها كلية الآداب بذراعين مرحبتين، وفي عام 1947 أصدرت مجموعتهما الشعرية الأولى (عاشقة اللّيل) وبعدها بعامين فقط أنجزت مجموعتها الثانية (شظايا ورماد) 1949، وشعرها في هاتين المجموعتين لا يختلف كثيرا عن الشعر الذّي كتبه رواد التجديد من أمثال علي محمود طه، وأحمد زكي أبي شادي، وأبي القاسم الشابي، وإبراهيم ناجي، وغبرهم من شعراء الرومانسية: لغة شفافة، مرهفة، وإحساسات مضطربة، ملتهبة، في إيقاع مصفّى كأنّه عسل الجنان.

وفي عام 1954 أتيحت لها فرصة أخرى للدراسة في جامعة وسكنسن لتعود منها وقد حصلت على درجة الدكتوراه في الأدب المقارن، وعملت في التدريس في كل من جامعة بغداد، وكلية التربية، وجامعة البصرة إلى أن انتهى بها المطاف إلى جامعة الكويت قبل أن تصاب في مطلع الثمانينات من القرن الماضي بمرض قاسٍ أقعدها عن تدريس.

تزوجت نازك الملائكة من الدكتور عبد الهادي محبوبة الذّي شغل منصب رئيس جامعة البصرة.

وتوالت دواوينها الشعرية ففي العام 1957 صدرت مجموعتها الثالثة (قرارة الموجة) وفي عام 1965 ظهر ديوانها(شجرة القمر) وفي سنة 1977 صدرت لها قصيدة مطولة بعنوان(مأساة الحياة وأغنية الإنسان) وهي إعادة كتابة لقصيدة غير مكتملة من بواكير حياتها الأدبية، ثم ظهرت لها في عام 1978 مجموعة شعرية أخرى بعنوان(للصلاة والثورة)، وآخر مجموعاتها كانت (يغير ألوانه البحر) وقد طُبِعت دار العودة مجموعاتها في مجلة يقع في نيّف و500 صفحة من القطع الصغير.

وإلى جانب الشعر لنازك مساهمات في النقد الأدبي والنقد الاجتماعي فقد كانت أول من نشر كتابا حول الشعر العربي الجديد سمته(قضايا الشعر المعاصر) 1965، وتناولت في أحد كتبها (الصومعة والشرفة الحمراء) 1965 شعر علي محمود طه الذي كانت معجبة بفنه الرومانسي، وتحدثت عن المرأة العربية ومشكلاتها في كتاب(ظاهرة التجزيئية في المجتمع العربي) 1972، وفي سنة 1993 طبع لها ببغداد كتاب نقدي يضم مقالات وبحوثا متفرقة بعنوان سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى.

لنازك مخطوط صغير كتبته بعنوان(لمحات من سيرة حياتي وثقافتي) اطلع مؤلف هذا الكتاب عليه في مكتبة الجامعة الأردنية ولا يعرف إن كان المخطوط قد طبع ونشر أم أنّه ما يزال بخط اليد؟

ولقد أثار شعر نازك اهتمام الدارسين وأقيم لها حفل تكريمي باتحاد أدباء العراق مطلع الثمانينات غير أنّها لم يتح لها حضوره وخصص لأدبها وشعرها ونقدها عدد خاص من مجلة الأقلام وفازت بجائزة عبد العزيز البابطين للشعر العربي.

. لنازك الملائكة كغيرها من الرومانسيين تؤمن بأن الحزن والألم هما مادة الشعر وتوقها إلى حياة صافية خالية من المشكلات والهموم والأوجاع يدفعها إلى التفكير بجزرة مثالية أو مدينة يوتوبيا، تبعث عنها في فضاء الطبيعة اللامتناهي.

. الشاعرة تلغي الواقع من حياتها، وتستسلم للأحلام، وإن لم تكن على يقين من أنّ هذه الأحلام ممكنة التحقيق، فهي تريد عالم من العطر تذوب النجوم والأجرام في جماله وسحره، ففي ذلك العالم المثالي الخالي من ذئاب البشر وفسادهم، ولهاثهم وراء المادة، والأرباح والخسائر والصراع اليومي،

ينطلق الفكر اللإنساني من عقاله، ويتحرر الوجدان من قيوده التي كبلته بها العادات والتقاليد البالية المتحجرة، ولنازك ولع واضح كغيرها من الرومانسيين بألفاظ الطبيعة ومسمياتها المختلفة.

. تكرر ذكر الأساطير والحكايات الشعبية والخرافية سواء تلك المتداولة في ثقافة أبناء العراق، أو المستمدة من التراث فهي تذكر شهرزاد، وديانا، ونرسيس.

. وقصائدها في أغلب الأحيان لا تتعدى أن تكون بكائيات ونفثات صدر يضجره التوق إلى الحب:

أحب فروحي حسّ غـــريب يضيع لديه جمودي ســـــــدا
حياتي في العالم الشاعري لهيب من الحُب لن يُحمدا
وجسمي قلب خفوق خفوق سـيلْبِـــثُ مـلـــتـهـبـــا مـــُوقَدَا

ولنازك الملائكة قصيدة بعنوان(عروق خامدة) تمثل النظرة الرومانسية للحياة خير تمثيل: الوهم، والذكرى، والسراب، والآهات، والأحزان، والنسيان، والإحساس بالضياع، واللاجدوى، كلها أمور تتجاوب أصداؤها في نسيج القصيدة اللفظي، كذلك إيقاع القصيدة وموسيقاها المبنية على التكرار المزدوج للروي مع التنويع من مقطع إلى آخر في القوافي يضفي على القصيدة طابع التجديد الذّي يُذكرنا بما سبق أن نوهنا إليه نعيمة وجبران وفدوى طوقان، أما التعبير عن الخيبة فشيئ نجده مشتركا لدى شعراء الرومانسية، وهو عند فدوى طوقان في (وحدي مع الأيام) مثلما هو عند نازك في (عاشقة الليل) و(شظايا ورماد).

. الإحساس بالغربة قاسم مشترك في تجارب الرومانسيين.

. يكثر حديثها عن الحزن والأسى والموت والخيبة والحب المحروم والألم والاغتراب، بيد أن ما لم يقله الدارسون الذين تناولوا شعرها، أن في قصائدها المزيد من الهندسة الزائدة، والتصنع الذّي يبرز واضحا في نسيج القصيدة اللّغوي، مما يضعف الجانب العاطفي والوجداني لديها ويقلل من تفاعل القارئ وتأثره.

هذه الابيات في قصيدة(ساعة الذكري) تصوير صادق مؤلم عن معاناة نازك وآلامها:

هذه ساعة التذكر كاد ال
ليل يبكي معي ويُصفي مليّاً
إنّها ساعة التذكر، والأج
راس تطوي كآبة الصمت طيّاً
ودموع في اعين اقفل التا
ريخ اهدابها علي الف سرّ
ومرور الأشباح يشهق خلف ال
باب في همسة ترنّ طويلاً
مركب شاحب شحوب عندما
زال لغزا وعالماً مجهولاً
في ظلام الذكري امُدّ ذراعي
لعلّ الأشباح تدنو قليلا
في ظلام الذكري، وادفع كفّي
في جنون عساي المسُ شيّا
فأحسّ الفراغ في جسد الأش
باح أنّي أصافح المستحيلا.